تطبيق اللفظ والمعنى

من أهم القضايا التي شغلت النقاد العرب قضية اللفظ والمعنى، وقد اختلفت وجهات النظر حول هذه القضية، منهم من يرد أهم مقومات العمل الأدبي، وأقوى دعائم نجاحه، إلى المعنى مقللا من شأن اللفظ في ذلك، ومنهم من يردها إلى اللفظ ومنهم من يسوي بينهما.

1-أنصار المعنى

من الذين عرفوا بالاحتفال بالمعنى وتقديمه أبو عمرو الشيباني والآمدي وأبو تمام والمتنبي وابن الرومي وابن الأثير، وهؤلاء لم يسقطوا شأن الألفاظ في الكلام، ولكنهم يؤخرون مرتبتها وتأثيرها، وينزلونها في الأهمية منزلة تالية للمعنى وقد بنوا رأيهم على أن المعاني هي ضالة الناس وغايتهم، وأنهم يتكلمون للدلالة عليها ويلبسونها الألفاظ للإبانة عنها، فما الألفاظ إلا وسيلة لتلك الغاية.

2-أنصار اللفظ

فإذا تركنا أنصار المعاني المقدمين لها في الكلام وجدنا في الجانب الآخر أنصار الألفاظ، الذين يفضلونها ويشيدون بأثرها، ويرعون حقها، ويرون في الصياغة المقوم الحق للأدب، فلابد عندهم من أن تستوفي الجمل والعبارات خصائص الصياغة الفنية على يد الشاعر والكاتب والخطيب ليدخل الكلام بذلك في باب الأدب. والجاحظ على رأس النقاد الذين احتفلوا بالألفاظ.

يقول الجاحظ في رده على أبي عمرو الشيباني الذي يقدم المعنى" **" وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"**

حلل هذا القول مبينا وجهة نظر الجاحظ من قضية اللفظ والمعنى.

- **نؤكد هاهنا وعي الجاحظ بثنائية توظيف الظاهرة اللغوية بين دلالة غايتها البث كما تتبدى في الاستعمال اللغوي العادي، ودلالة أسلوبية غايتها الخلق الفني كما تظهرها خصائص النص البنائية**
- **ولكن علينا –مع هذا– أن نذكر أن الجاحظ يشيد بقيمة المعنى في غير موضع، مما يدل على أنه لم يعن باللفظ إلا لجلاء الصورة الأدبية، ولهذه الصورة أوثق رباط بالمعنى.**
- يُشار هنا إلى مكانة وظيفة الفهم والإفهام في بلاغة الجاحظ حيث إنه من أجل هدف تسهيل إفهام الفكرة فقط، يكون من الضرورة الاعتناء بشكل الخطاب لدى الجاحظ طبعاً إلا أنه ورغم وجاهة الإقرار بتبوّء وظيفة

الفهم والإفهام مكانة متقدمة لدى الجاحظ وفي التراث النقدي العربي كله، إذ إن جدوى الخطاب وفائدة القول ركنان مكينان في كل مباشرة كلامية، ولا أدل على ذلك من مكانة المعنى في كل محاولة نقدية وتعدد ما أسند إلى هذه الدلالة من مفاهيم.

3-أنصار ازدواجية اللفظ والمعنى

على أن من نقاد العرب من كانوا ينظرون إلى اللفظ والمعنى على سواء، ومن أقدم ما أثر في هذا صحيفة بشر بن المعتمر، يدعو فيها إلى ترك التكلف والتوعر.يقول في هذا الصدد

" إن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريماً فيلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"، وأولى المنازل عنده" أن يكون لفظك رشيقاً عذبا، وفخما سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً، عند الخاصة إن كانت للخاصة قصدت، والعامة إن كنت للعامة أردت، فالمعنى لا يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، ولا يتضع أن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الأمر على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحالي، وما يجب لكل مقام المقال"

حلل هذا القول مبينا علام يعتمد "بشر بن المعتمر" في الازدواجية بين اللفظ والمعنى.

- تدل هذه العبارات على أن بشراً يساوي في المنزلة بين اللفظ والمعنى، ويحفظ لكل منهما حقه في وجوب العناية به، والحكم على الأديب بالفنية بقدر ما يستطيع الإجادة فيهما معا
- تجد في تلك العبارات ما يشعر بالغض من قيمة أحدهما، أو محاولة الانتصار له على حساب الآخر، أو القول بأن فنية الأديب تبدو في أحدهما دون الآخر، وتلك هي النظرة الأولى، وهي في الوقت نفسه النظرة المثلى إلى الفن الأدبي، وما ينبغي أن يتوافر في ركنيه من الجودة ووجوب الرعاية والاهتمام بكل منهما.
- خلاصة

هذه هي وجهات نظر النقاد العرب القدامى، في شأن قضية اللفظ والمعنى وهي وجهات متقاربة، تكاد تجتمع على أهمية اللفظ والمعنى في العمل الأدبي وإن كانت هذه النظرة قد تطورت واتجهت اتجاهاً جديداً نحو ما يسمى بنظرية (النظم) التي استقرت عند عبد القاهر الجرجاني، والتي بدأت شعاعاً خافتاً يلمع في أذهان بعض النقاد من قبله، حتى أصبحت مناراً وهاجاً على طريق النقد البلاغي عنده.وهو موضوع درسنا الموالي.